

مدح النبی ﷺ عند أحمد شوقي (دراسة وصفية فنية)

AHMAD SHAWQI'S ADMIRATION OF THE PROPHET
(PEACE BE UPON HIM): A METHODOLOGICAL STUDY

غلام عباس ندیم* / الدكتور محمد سليم**

Abstract:

Ahmad Shawqi was one of the renowned religious poets of the Egypt. He earned popularity as a great Arabic poet and play-writer during the twentieth century. He had a great contribution in modern Arabic and Islamic literature. He served as an Islamic Arabic poet. He was born in Egypt. He went abroad to France for higher education. On his return to his country in 1894, he joined nationalist group and resisted British occupation in Egypt. He also became a prominent member of Arab literary culture until the British forced him to exile in southern Spain. He remained in Andalusia during 1914 to 1920. He then returned to Egypt. He was entitled: Amir al-Shuaraa in recognition of his contribution to Arabic literature. This article evaluates Shawqi's poetry in which he present biography of Holy Prophet (peace be upon him). His poetry shows his love to Islam and the Holy Prophet (peace be upon Him). The article describes his style, literary beauty i.e. terminology, similes, metaphors and illusions.

Key words: Ahmad Shawqi, Egypt, Arabic Literature of 20th century, Arabic Poetry, Sirah-Writings.

ويعبد أحمد شوقي من أبرز شعراء مصر و العرب والمسلمين وهو أمير الشعراء في العصر الحديث - وكان محافظاً لدينه ﷺ ولغته، وكان شاعراً عظيماً عربياً ومكثراً في مدح سيد العرب والعجم. ولد أحمد شوقي بالقاهرة سنة ١٨٦٨م في مهد من مهادر الترف والثراء أي نشأ في بيئة ارسنقراطية مترفة وترى بأسرة غنية وعلمية وأدبية^(١) أما أصله فهو العربي والتركي واليوناني أصلاً ونسباً والمصري مولداً ووطناً^(٢) وتعلم أحمد شوقي بدارس مصر على المستوى الابتدائي والثانوي والعالى^(٣) ولما بلغ الرابعة من عمره فدخل أحمد بمكتب الشيخ صالح في حي الحنفى، ثم انتقل إلى المبتديان أي المدرسة الابتدائية ثم إلى المدرسة التجهيزية - فمُنح المجانية مكافأة وتخرج فيها وعمره خمس عشرة سنة وحينما تمّ تعليمه الثانوي، ثم ألحقه أبوه

* باحث الدكتوراه قسم اللغة العربية، جامعة الكلية الحكومية فيصل آباد

** الاستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، جامعة الكلية الحكومية فيصل آباد

بمدرسة الحقوق، ليدرس القانون-^(٣) ثم التحق أحمد شوقي بمدرسة الحقوق، ومدح أحمد شوقي للخديوى توفيق، - وتخرج شوقي من قسم الترجمة فى سنة ١٨٨٤م-^(٥) وكان أحمد شوقي طالباً ذهيناً وفطيناً وحريصاً على العلم كما وصلت أليناً أخباره من الأدب العربى الحديث -

وقد أرسله أبوه إلى فرنسا ليدرس الحقوق لمدة عامين ثم انتقل إلى باريس-^(٦) بعد عودته إلى باريس وقضى بها عامين وحصل فيها على الإجازة النهائية، ثم سافر إلى فرنسا ثم ذهب إلى لندن وإلى البلاد الأوروبية الأخرى - ومكث أحمد شوقي فى باريس وشاهد مسارحها واتصل بحياتها الأدبية - والتقى هناك بالشاعر الفرنسى "فرلين" وكانت الصداقة بينه وبين الأديب والشاعر اللبنانى الأمير شكيب أرسلان، وهو الذى أشار عليه بأن يجمع قصائده فى ديوان يسميه الشوقيات-^(٧)

وعاد شوقي إلى مصر سنة ١٨٩١م وعين رئيساً للقلم الإفرنجى فى ديوان الخديوى عباس حلى الثانى فى قصره، وفى هذه الفترة قام أحمد شوقي برحلة إلى الخارج ممثلاً للحكومة المصرية فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى مدينة جنيف بسويسرا سنة ١٨٩٢م-^(٨) وقد عاش فى القصر من سنة ١٨٩٢م إلى سنة ١٩١٣م مادحاً الخديوى عباس، ونظم أحمد شوقي فيه القصائد العربية بكل مناسبة أصبح شاعراً لأسرة الخديوى-^(٩) وقضى شوقي فى أسبانيا أربع سنوات منظوماً القصيدة الشهيرة فى هجاء الإنجليز ولأنه كان من رجال القصر-^(١٠)

وعاد أحمد شوقي إلى مصر سنة ١٩٠٠م، فكان له فى محطة مصر استقبال حاشد كما ذكر فى قصيدته المسى بعد المتفى وكان الناس يحبونه فى مصر-^(١١) وطبع ديوانه الشوقيات فى سنة ١٩٢٤م، وأقيم له حفل تكريم عظيم، واشتركت فيه الحكومة المصرية وزعماء البلاد العربية إذ قدمت منها وفود مختلفة تهجد شاعر مصر وتشيد بعبقريته ونبوغه - وقد وضع الشعراء على رأسه تاج إمارة الشعر وأعترفوا بهأرته وفطنته فى هذا الحفل، وقد جاؤا هولاء العلماء والأدباء من سائر الأقطار العربية^(١٢) وكان أحمد شوقي شاعراً وأديباً عربياً ومن أشهر مؤلفاته فى النثر والشعر ومنها: عذراء الهند، و لادياس أو آخر الفراعنة، وورقة الآس، والمسرحيات ومقالات اجتماعية والشوقيات، ودول العرب وعظماء الإسلام وغير ذلك.^(١٣) وعند ما يطالع باحث تاريخ الأدب العربى، لا يجد فيه شاعر مثل أحمد شوقي، قد حظى مكانة رفيعة بين معاصريه، وكان موضع إجلال الناس جميعاً، وذلك لأنه ارتفع عليهم بثقافته الواسعة التى اجتمعت فى شخصيته من الإطلاع الواسع على الآداب العربية والغربية كليهما كما قال مصطفى صادق الرافعى عنه :

"هذا الاسم الذى كان فى الأدب كالشمس من المشرق: متى طلعت فى موضع

فقد طلعت فى كل موضع، ومتى ذكر فى بلد من بلاد العالم العربى اتسع معنى

اسمه، فدل على مصركلها كأنما قيل النيل أو الهرم أو القاهرة. مترادفات لا في وضع اللغة ولكن في جلال اللغة-^(١٣)

يكاد النقاد يجمعون على أن شوقي كان تعويضاً عادلاً عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب بعد المتنبي لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ما انقطع من وحى الشعر، ويجدد ما اندرس من نهج الأدب- وترك أحمد شوقي ميراثاً عظيماً في الأدب العربي المعاصر^(١٤) واستفاد شعراء وأدباء العرب الذين جاؤا خلفه من أفكاره وأحاسيسه وعلمه وأدبه-

وبعد نبذة وجيزة عن حياة أحمد شوقي، الآن سأذكر موضوعات شعره حول مدح النبي ﷺ وسأكشف عن محاسن أدبية في شعره كالاتي:

وقد ذكر ملامح السيرة النبوية في شعره، فالسيرة النبوية وهي تعني مجموعة ما ورد من وقائع حياة النبي ﷺ وصفاته الخلقية والخلقية، منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث ووقائع حتى موته، وتشتمل على ميلاده ونسبه، ومكانة عشيرته، وطفولته، وشبابه، ووقائع بعثته ونزول الوحي عليه، وأخلاقه، وطريقة حياته، ومعجزاته التي أجازها الله تعالى على يديه ﷺ، ومراحل الدعوة المكية والمدنية، وجهاده وغزواته، والمراد من السيرة النبوية عند علماء الحديث، وهو ما أضاف إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو وصفة كما تعنى عند علماء العقيدة وأصول الدين، أما عند علماء التاريخ فإنها تعنى أخباره ومغازيه.^(١٥) قد أمر الله سبحانه وتعالى بأ تباع نبيه ﷺ في كلامه المجيد [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا]^(١٦)

فظهر لنا من هذه الآية الكريمة أن نفتدى بالرسول الأكرم ﷺ وإن كانت السيرة النبوية هي ما ورد عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصفة، فأفعال النبي ﷺ تبرز أكثر ما يكون في السيرة.

فنجد المحاسن الأدبية في شعره بكثرة كما هو يأتي باستخدام الكلمات الموزونة التراكيب المتينة والأساليب الجيدة والصور والمعاني والأخيلة والأفكار القيمة والموسيقى الشعرية والتشبيهات والاستعارات والمحاسن البديعية وغيرها-

وقد استخدم أحمد شوقي الكلمات السهلة والجميل البسيطة كي يفهم القارى معاني الشعر بالسهولة وبغير دقة كما هو يقول في قصيدته:

يا خير من جاء الوجود تحية	من مرسلين الى الهدى بك جاءوا
بيت النبيين الذي لا يلتقى	الا الحنأ فيه والحنفاء
خير الأبوة حازهم لك آدم	دون الأنام واحزرت حوا ^(١٨)

وقد رأينا فى الأشعار المذكورة بأن أحمد شوقى يقوم باستخدام الكلمات الموزونة والتراكيب العربية من ناحية سياقاتها مثلما: جاء الوجود وتحية ومرسلين والهدى وبيت النبیین والحنفاء وغير ذلك-

و نجد فى شعره جميع الأساليب الأدبية، لأنه كان شاعراً واسع العلم وعالمياً بجميع الفنون الشعرية وله ملكة تامة فى ايجاد الشعر وكذا نجد فى شعره الأسلوب العلى الى حد كبير ومن مميزات أسلوبه العلى: المنطق السليم والتخاطب العقلى والفكر المستقيم وأثر القوة والجمال واصانة الحجة وسهولة العبارة وغير ذلك-

فنجد فى شعره الأخيالة الخصبة والأفكار الواسعة والمعانى الجديدة عند نطالع شعره حول مدح النبى ﷺ كما هو يقول:

والعرش يزهو، والحظيرة تزدهى والمتهى والسدررة العصماء
وحديقة الفرقان ضاحقة الربا بآتر جبان شذية غناء^(١٩)

فنجد فى هذه الأبيات: المعانى الجديدة والصور الجميلة والأخيالة الخصبة كما هو يقول: "والعرش يزهو". أما كلمة يزهو أخذت من زهو ومعناها: "يشرق" وكلمة "الحظيرة" ومعناها: الأخوية أى الشجرة المبنوعة التى توجد فى الجنة - ويعرض احمد شوقى الصورة الجميلة فى هذا الشعر كما هو يقول: "يشرق العرش وتزدهى الجنة بسبب مولد النبى ﷺ وزاد حسن السدررة التى وقعت فى مقام المنتهى وشبه السدررة بالمغزلة العصماء وهى الغزلة تكون أقدامها بيضاء وتضحك حديقة الفرقان بالفرح بمجيئ خاتم النبیین - وقد استخدم شاعرنا الصور البليغة والكلمات الجزلة فى شعره-

ويمتاز شاعرنا بالموسيقى الخارجية وهى الوزن والقافية، يلتزم الشاعر بالوزن والقافية فى جميع قصائده المدحية خاصة فى قصيدتى الهزمية النبوية ونهج البردة وهاتان قصيدتان شهيرتان فى أنحاء العالم العربى كما هو يقول فى قصيدته: "نهج البردة":

فاق البدور، وفاق الأنبياء، فكم بالخلق والخلق من حسن ومن عظم
يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة حديثك الشهد عند الذائق الفهم^(٢٠)

وقد استخدم شاعرنا هذه الأبيات البحر البسيط مثل الشعراء المتقدمين فى المدح النبوى- وكذا نجد الموسيقى الداخلية وهى موسيقى الألفاظ والمعانى وملاءمتها مع المشاعر والعواطف التى تدل على مكانة النبى ﷺ الرفيعة بين خلق الله كلهم- وأما الموسيقى الخارجية فهى التزامه بالوزن والقافية باتمام خاص ويأتى شاعرنا بالتشبيهات والاستعارات القديمة والمحسنات اللفظية والمعنوية -

ومن أهم ملامح السيرة النبوية المديح النبوی فهي كالآتي:

المديح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء، يقال مدحته مدحة واحدة. والمدحة اسم المديح والجمع المديح والمدائح والأُمَدِيح۔^(۲۱)

المديح في الاصطلاح هو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعفة والعدل والشجاعة. وإن هذه الصفات عريضة فيه وفي قومه وبتعداد محاسنه الخلقية كالجمال وبسطة الجسم، وشاع المديح عندما ابتذل الشعر واتخذ الشعراء مهنة، ومن المادحين الجاهليين الذين بذلوا جهودهم في هذا المجال مدحاً للملوك والأمراء ومنهم زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى قيس وغيرهم۔^(۲۲)

ولاشك أن المدائح النبوية توالى منذ أن بزعت شمس الرسالة المحمدية على صاحبها الصلوة والسلام والشعراء الذين قد اشتهروا بالمديح النبوی في تاريخ الشعر العربي فأشهرهم حسان بن ثابت رضي الله عنه والنابغة الجعدي وكعب بن زهير وعبدالله بن رواحة والعلامة يوسف بن اسماعيل النبهاني والعلامة شرف الدين البوصيري وأحمد شوقي وغيرهم كثيرون. والآن سنذكر أشعار بعض من المادحين لسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم، حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي مدحه بالفصاحة والبلاغة ومطلع قصيدته ألقى صارت شهرة في مشارق الأرض ومغاربها:

وأحسن منك لم تر قط عيني واجمل منك لم تلد النساء ---^(۲۳)

وقال الصحابي الجليل النابغة الجعدي مدحاً للنبي صلى الله عليه وسلم:

أتيت رسول الله جاء بالهدى وتيلو كتاباً كالجمرة نيرا^(۲۴)

وقال سيدنا عبدالله بن رواحة في مدح سيد العرب والعجم:

نفسى الفداء لمن أخلاقه شهدت عمت فضائله كل الأنام كما

لو لم يكن فيه آيات مبينة بأنه خير مولود من البشر^(۲۵)

ونظم العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني القصائد المتعددة في مدح النبي صلى الله

عليه وسلم كما هو يقول في قصيدته (طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء):

نورك الكل والورى اجزاء يا نبياً من جنده الأنبياء^(۲۶)

فنظم العلامة البوصيري القصيدة الشهيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهي

"البردة" ويقول في مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم^(۲۷)

ومما لاریب فیہ أن أحمد شوقی یحتل مکانة سامیة بین المأدحین، فإن قارئ دیوان شوقی یحس بقوة عمق الاحساس الدینی خلال دراسة شعره وهذا تدلنا على أنه لم یتخذ موضوعاً دینیاً محضاً أى قصیده كاملة من قصائده. وإن كان هوینظم بعض الأبیات فی فكرة دینیة أو عقیده إسلامیة ولكن الجزء المعظم لشعره الدینی یتعلق بمدح النبی صلی اللہ علیہ وسلم، وكثیراً ما نظم القصائد بأكملها فی مدحه علیہ الصلوات والتسلیمات. وجملة القول، فنجد فھر سائطویلاً لاسماء الذین ساهموا فی مجال مدح النبی ﷺ. وكان احمد شوقی احد منهم الذین مدحوا للنبی ﷺ بحلاوة الا بیان، ومن الموضوعات التي تناولها أحمد شوقی فی شعره فهي كالآتي:

مولد النبی صلی اللہ علیہ وسلم، ذکر الحسب والنسب وآباءه حتى اصطفائه أمیناً على الرسالة، رضاعته، طفولته، بیان كفالة جدّه عبدالمطلب وعنه أبي طالب، بیان شبابه فی طلب الرزق، ذکر عبادته فی غار حرا، بیان نزول الوحی فی غار حرا وأعطاه الرسالة والنبوة، بیان إيمان السيدة خديجة رضی اللہ عنہا، وسيدنا أبي بكر وسيدنا عمر، وسيدنا حمزة، وسيدنا علي والصحابه الآخرين رضی اللہ عنہم، بیان هجرة حبشة وعداوة قريش لأصحابه صلی اللہ علیہ وسلم وايداءهم للمسلمين، بیان هجرته صلی اللہ علیہ وسلم من مكة إلى المدينة المنورة، ذكر مبايعة الأنصار له وإعانتهم للنبي الكريم صلی اللہ علیہ وسلم ودين الإسلام، غزواته صلی اللہ علیہ وسلم، أي غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة خيبر، غزوة حنين، بيان فتح مكة زاد الله شرفاً، بيان انتشار الإسلام فی جميع جزيرة العرب وخطبة حجة الوداع ووفاته صلی اللہ علیہ وسلم، شمائله الشريفة أي الجود والسخاء، الصبر، العفو، الخلق العظيم، الكرم، الرحمة، الشفاعة، الشجاعة والبسالة، العهد والوعد، الحلم وغير ذلك - معجزاته، الإسراء والمعراج، فضيلته على جميع الأنبياء والمرسلين، التوسل والاستعطاف والاستمداد والاستغاثة والدعاء، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وآله وأصحابه أجمعين -

وقد نظم أحمد شوقی القصائد المتعددة فی موضوعات مختلفة ولكن لا تخلو أي قصيدة عن ذكر سيدنا محمد رسول ﷺ وسيرته الطيبة، فكثيراً ما يذكرها فی قصائده - أما مشاعره الدینیة فقد لعبت دوراً هاماً فی تكوين كثير من قصائده كما نجد ذكر تعاليم دينه ونبيه ﷺ وذكر الشخصيات المسلمة البارزة وقصص التاريخ الاسلامی باعتناء خاص فی قصائده ومن هذه القصائد: "الهزيمة النبوية" ونهجه البردة" قصيدتين طويلتين التين ستبكي الى الأبد بسبب حسنهما الفني وجمالهما المعنوي والقصيدة الثالثة فی مدح النبی ﷺ وهي (ذكرى المولد) ولكنها قصيرة وفي هذه القصائد كلها لم یكتفى شوقی بمدح الرسول ﷺ بل دعا المسلمين فی أقطار العالم

جیباً الى اتباع نبیهم والعمل بأحكامه وتعالیبه وكذلك نجد المدح في قصائد الأخرى مثلاً
دول العرب وعظماء الاسلام كما هو يقول عن مولد النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته الهزلية:

ولد الهدى فالكائنات ضياء
الروح والبلاء الملائك حوله
وفم الزمان تبسم وثناء
للدین والدنيا به بشراء (۲۷)

وأضاف أحمد شوقي حول ولادة النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته "نهج البردة":

سرت بشائر بالهدى ومولده
في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم
تخطفت مهج الطاعين من عرب
وطيرت أنفوس الباعين من عجم (۲۸)

وقد كتب أحمد شوقي قصيدته "نهج البردة" اتباعاً للبوصيري وحاول أن يعرض
أفكار البوصيري ومعانيه طبقاً لنهجه الخاص. ومن حيث أن معنى "نهج" في العربية طريقة أو
نموذجاً، فإذا لا بد أن تكون هذه القصيدة تبعاً لقصيدة البوصيري أي (القصيدة البردة) - وتعد
من أشهر قصائد المدح للنبي الكريم ﷺ المحافظ بظاهر التقليد فقد جرى في نظمها على
المعتاد في جمهرة شعره وكذا ويقول شاعرنا في قصيدته "ذكرى المولد النبوي" عن مولده صلى
الله عليه وسلم:

ويمشى نور أحمد في
ظلام الجهل يهزمه
وفي النيران يخدمها
وفي الإيوان يثلمه
وفي المعوج من دين
ومن دنيا يقومه (۲۹)

وفي قصيدة "نهج البردة" و"ذكرى المولد" يريد الشاعر أن يحقق عظمة الوليد
بذكر الجلالة شأن هذا الحديث العظيم وخرق عادته كما أن أحمد شوقي يعتنى أكثر بتلك الأمور
التي تظهر بسبب بعثة النبي ﷺ عند ما يذكر ولادته ومنها هدم بيوت الأصنام ومحو الظلم
والتعدي من سطح الأرض وهلاك الأمراء والحكام الطواغيت ودمار القوى القاهرة الجائرة مثل
الروم والفارس التي كانت تذبج فيها الناس كالحيوانات ولا يغفل الشوقي عن ذكر الحدث الذي
يعبر عن دمار إيوان كسرى، وإن كان هذا الذكر ليس جلياً وواضحاً. وبجانب الآخر لا يشير إليه
شوقي كمعجزة مولده ﷺ فقط، بل يجعله علامة سيطرة الحق وتغلبه وهولا يجحد بوجود
البشائر والأحداث ضمن المولد النبوي بل يشير إليها إشارات خفية والرموز والمصطلحات
الخاصة -

فمدح شاعرنا للنبي ﷺ بأسلوب منفرد مستخدماً المصطلحات البلاغية والأدبية -
عند ما نطالع قصائد أحمد شوقي بالذوق البلاغي والفني، فيتضح لنا أنه يستخدم المحاسن
الأدبية الكثيرة في قصائده المدحية مثل التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية والأنشاء الطلبي

والفصل والوصل والسجع والجناس والتصدير والطباق والتوجيه وغير ذلك. وهكذا يستعمل الكلمات السهلة وربما يستخدم الكلمات الصعبة والنادرة في شعره. ونجد أيضاً التراكيب المتينة والأساليب الجيدة القواني الفائقة في هذه الأبيات.

وقد ذكر أحمد شوقي في قصيدته الهمزية عن طفولته صلى الله عليه وسلم بالصدق والأمانة في صباه وهو يقول عن طفولته صلى الله عليه وسلم - وهذه القصيدة المدحية مملوءة بالبحسنات اللفظية والمعنوية ومن أبياتها:

نعم اليتيم بدت مخايل فضله	واليتيم رزق بعضه وذكاء
في البهد يستسقى الحيا برجائه	وبقصده تستدفع البأساء ^(٣٠)
بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم	يعرفه أهل الصدق والأمناء

قد ذكر شاعرنا شبابه صلى الله عليه وسلم في طلب الرزق في كتابه "دول العرب وعظماء الإسلام":

كان رسول الله في شبابه	لا يدع الرزق وطرق بابه
أتى رسول أو نبى قبله	لم يطلب الرزق ويبغ سبله؟
موسى الكليم استئجرا استئجارا	وكان عيسى في الصبا تجارا ^(٣١)

وقد ذكر شاعرنا في شعره عن شمائل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كالكرم والرحمة والشجاعة والبسالة، والجود والسخاء، والعفو والصبر، والخلق العظيم والشفاعة والعهد والوعد والحلم وغير ذلك - نذكرها بالاختصار - ويقول بهذا الصدد:

البدر دونك في حسن وفي شرف	والبحر دونك في خير وفي كرم
والحسن من كرم الوجوه وخيره	مأ أوقى القواد والزعماء ^(٣٢)

ونجد في شعره الافتنان وبراعة الالبانة والصبغة وتأليف الكلام، فيجعل الشاعر في بته الأول فوق البدر حسناً وشرفاً وفوق البحر خيراً أو كرمًا - ويجعله في البيت الثاني أسى من الجبال الشم قدراً وأروع من النجوم الزهر حسناً - ويقول أحمد شوقي أشعاراً في مدح النبي ﷺ تعمقاً ودقيقاً - فعواطف حبه تزخر وتموج في قلبه -

وقد ذكر شاعرنا في خلق النبي ﷺ:

بنيت لهم من الأخلاق ركناً	فخانوا الركن، فأنهدم اضطراباً
وكان جنابهم فيها مهيباً	وللأخلاق أجدر أن تُهاباً
فإن قُرنت مكارمها بعلم	تذللّت العلا بهما صعباً
وفي هذا الزمان مسيح علم	يرد على بنى الأمم الشهاباً
يأ من له الأخلاق ما تهوى العلا	منها وما يتعشق الكبراء ^(٣٣)

فی هذه الأبيات يذكر شاعرنا عدد من الصفات المجيدة للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ومنها الخلق العظيم وقال الله تعالى عن خلقه صلى الله عليه وسلم: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (۳۳)

وقال البراء: "كان أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً" (۳۵)

وقد ذكر شاعرنا عن شفاعته:

يا من له عز الشفاعة وحده	وهو المنزه، ماله شفعا
عرش القيامة أنت تحت لوائه	والحوض أنت حياله السقا
تروى وتسقى الصالحين ثوابهم	والصالحات ذخائر وجزاء (۳۶)

وقال احمد شوقي في مقام اخر:

لواء الحشر بين يديه	ك يوم الدين تقدمه
شفيعاً فيه يوم يلو	ذبالشفعا مجرمه
ففى يُمناك جنته	وفى اليُسرى جهنمه (۳۷)

فى هذه الأبيات يستخدم أحمد شوقي الألفاظ السهلة والمعاني الجيدة والتراكيب المتينة والأسلوب الرائعة والقوى الفائقة كما نجد فى هذه الأبيات كثيراً من المحاسن الأدبية مثل التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز والفصل والوصل والانشاء والجناس والتصدير والسجع والطباق وغير ذلك.

والمعجزة عند جمهور العلماء من الأصول هى خرق العادة التى تظهر من النبى صلى الله عليه وسلم كدليل وحجة لتحقيق نبوته، فظهور الخوارق والمعجزات يكون عوناً كبيراً لهم فى سبيل إثبات النبوة والإسلام لها ولذلك كثير من الأنبياء والرسل قد أوتوا المعجزات حتى تحقق عظمة نبوتهم، ونبينا صلى الله عليه وسلم واحد منهم - وهذه الخوارق تسمى بالمعجزات فى المصطلح الدينى، وعددها فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم كثير ونجد ذكرها فى كتب الحديث كلها.

يقول أحمد شوقي:

أخوك عيسى دعاً ميتاً، فقام له	وأنت أحييت أجيالاً من الرّمم
والجهل موت، فإن أوتيت معجزة	فأبعث من الجهل، أو فأبعث من الرّجم (۳۸)

وذكر احمد شوقي لبعض المعجزات فى قصيدته "الهزمية النبوية":

ذمرت العروش الظالمين، فزلزت	وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم	خمدت ذوائبها، وغاض الماء

والآئی تتری، والخوارق جبّة (جبریل) رَوّاح بها غداء (۳۹)

فی هذه الأبیات يذكر الشاعر الخصائص الفنية مثل التشبيه والاستعارة والكنایة والمجاز والفصل والوصل والجناس والطباق والتصدير وغير ذلك.

الإسراء والمعراج تعدّ من أهم المعجزات النبوية، وهي أبرز الفضائل الحبيدة للنبي صلى الله عليه وسلم وميزته الممتازة. وبسبب أهميتها ركّز الشعراء المادحون على هذه الخارقة وتكلّموا كثيرًا عن عظمتها ومجالها لأحداثها. ويقول شاعرنا حول هذا الموضوع في "نهج البردة"

أسرى بك الله ليلاً، إذ ملائكه والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لها خطرت به التفوّا بسيدهم كالشهب بالبدر، أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر ومن يفز بحبيب الله يأتهم
وقيل: كل نبي عند رتبته ويا محمد: هذا العرش فاستلم (۴۰)

بعد إمعان النظر يتضح لنا أن أحمد شوقي يستخدم الكلمات السهلة والمعاني الجيدة والتراكيب المتينة والصور الرائعة والخيال العميقة المبتكرة والقوافي النادرة والتشابيه الجبيلة والاستعارات الجيدة كما يستخدم في هذه الأبيات بعض مصطلحات لعلم المعاني والبدیع. ذكر فضله ﷺ على الأنبياء والمرسلين:

الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، هم خير خلق الله سبحانه وتعالى، وفضل الله تعالى بعض الأنبياء والرسل على بعضهم كما يقول: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ} (۴۱)

نظم أحمد شوقي على فضيلة رسولنا صلى الله عليه وسلم في أكثر قصائده وذكر خصائصه وفضائله كما هو يقول في قصيدته "ذكرى المولد":

له في الرسل أكرمهم عريق الأصل أكرمهم
خليل الله معدنه فكيف يزيّف درهمه
أبوّة سؤدد أخذت بقرن الشمس تزحمه (۴۲)

وقال أحمد شوقي في مقام آخر في مدح النبي ﷺ:

قد نال (بالهادي) الكريم و (بالهدى) ما لم تنل من سؤدد سيناء
العرش تحتك سُدّة و قوائماً ومناكب الروح الأمين وطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم حاشاً لغيرك موعد ولقاء (۴۳)

ويقول في قصيدته "نهج البردة" حول هذا الموضوع:

محمد صفوة الباري، ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسم

وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة متى الورود؟ وجبريل الأمين ظي
سناؤه وسناه الشمس طالعة فالجرم في فلک، والضوء في علم^(۳۳)
في هذه الأبيات يستخدم الشاعر الكلمات السهلة والمعاني المبتكرة والجميل القصيرة
والتركيب السهلة المتينة وكثرة الفنون البلاغي مثل السجع والجناس والتصدير والطباق
والتوجيه والانشاء والتشبيه والاستعارة والمجاز وغير ذلك.
عند ما نطالع قصائده المديحية للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم يظهر لنا أنه يذكر
واضحاً في مدائحه للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم الفكر الصوفي وينظر للنبي الكريم صلى الله
عليه وسلم نظرة صوفية مفرقة في المحبة والتقديس لدرجة أنه يجعله في المرتبة العليا بالنسبة
لكل المخلوقات. ويقول في قصيدته ”الهيمزية النبوية“:

يا خير من جاء الوجود، تحية من مرسلين إلى الهدى بك جاء وا
خير الأبوة هأزهم لك (آدم) دون الأنام وأحرزت حواء
هو أدركوا عز النبوة وانتهت فيها إليك العزة القعساء^(۳۵)
وقال أحمد شوقي في قصيدته: نهج البردة في مدح النبي ﷺ:

محمد صفوة الباري، ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسم
وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة متى الورود؟ وجبريل الأمين ظي
سناؤه وسناه الشمس طالعة فالجرم في فلک، والضوء في علم
قد أخطأ النجم ما نالت أبوته من سؤدد بأذخ في مظهر سنم^(۳۶)
وقال في قصيدته: ”نهج البردة“:

إن جلّ ذنبي عن الغفران لي أمل في الله يجعلني في خير معتصم
ألقي رجائي إذا عزّ المجير على مفرج الكرب في الدارين والغمم
إذا خففت جناح الدل أسأله عزّ الشفاعة. لم أسأل سوى أمم^(۳۷)

بعد دراسة وجيزة لهذه الأبيات المديحية، فظهر لنا بأن أحمد شوقي فهو شاعر
النبي ﷺ وشاعر الاسلام وشاعر القرآن الكريم۔ وقد لعب دوره كبيراً لكشف ظواهر السيرة
النبوية ﷺ منظوماً بأسلوب بديع۔ ومن موضوعات شعره المديحية: ذكر نسبه ﷺ وبيان
رضاعته ﷺ وطفولته وأحوال جدّه عبد المطلب وعنه أبي طالب، وذكر شبابه ﷺ وكسبه
ﷺ في طلب الرزق، ونزول الوحى عليه ﷺ وعن قيامه في غار حرا۔ وكذا يذكر أحمد شوقي وقعة
السيدة خديجة رضي الله عنها، وسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسيدنا عمر فاروق رضي
الله، وسيدنا أمير حمزة رضي الله عنه، وسيدنا علي والصحابه الآخرين رضوان الله عليهم۔

فيذكر أحمد شوقي عن هجرة حبشة وهجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة - وقد ذكر شاعرنا غزواته صلى الله عليه وسلم، أى غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة خيبر، غزوة حنين وغيرهم - فيكشف شاعرنا عن شمائله الشريفة أى الجود والسخاء، الصبر، العفو، الخلق العظيم، الكرم، الرحمة، الشفاعة، الشجاعة، الوفا، والحلم وغير ذلك -

فنجد المحاسن الأدبية في شعره بكثرة كما هو يأتى باستخدام الكلمات الموزونة التراكيب المتينة والأساليب الجيدة والصور والمعانى والأخيلة والأفكار القيية والموسيقى الشعرية والتشبيهات والاستعارات والمحاسن البديعية وغيرها -

وقد استفاد أحمد شوقي من أمهات الكتب الصوفية مثلما الفتوحات المكية للشيخ محى الدين ابن عربي رحمة الله عليه واليوافيت والجواهر للامام عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله عليه وأيقاظ الهمم في شرح الحكم للشيخ أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى رحمة الله عليه - كما نجد أفكاره في هذه الأبيات المدحية - وشعره ملوء بالمحاسن الأدبية مثل التشبيه والاستعارة والمجاز والخبر والانشاء والفصل والوصل والايجاز والاطناب والجناس والسجع والتصدير والطباق والتوجيه واستخدام الكلمات السهلة والمعانى الرائعة والأساليب المتنوعة والخيال الرائع والتراكيب المتينة الجيدة والقوافى وغير ذلك.

وخلاصة القول فيه إن مدائح أحمد شوقي تجعل منه أحد كبار شعراء المديح النبوى الشريف في مصر والعالم العربى ولسنأ مبالغين إذ قلنا إن قصائده في المدائح النبوية تعد روائع، أضافت الكثير إلى فن المديح النبوى الشريف في مصر - ونرى اليوم شعراء العربية يتأثرون بديوان الشوقيات ثم ينظمون على منواله، وفي هذا من الدليل على عظيم تقديرهم وإعجابهم بالشوقيات على وجه العموم، ومدائحه النبوية على وجه الخصوص - وقصارى بالقول، نستطيع أن نقول عن شعر أحمد شوقي بالنكات التالية:

- ١- وكان أحمد شوقي من أبرز شعراء العرب ويلقب بأمر الشعراء في العصر الحديث -
- ٢- وقد اختار أحمد شوقي في شعره منهج الشعراء السابقين من الأمويين والعباسيين والأندلسيين، ومن أهم موضوعات شعره، المدح، والرثاء والغزل والوصف والفخر والخمرة والحماسة والحكمة والدين والسياسة والاجتماع والتاريخ والإخوانيات والمسرح وغير ذلك -
- ٣- وكان أحمد شوقي شاعرا مكثرا في المديح النبوى ﷺ وأنشد خمس قصائد طويلة في مدحه ﷺ ومن هذه القصائد ”الهمزية النبوية“ و”نهج البردة“ وهذه القصيدتين الطويلتين اللتين ستمبقي إلى الأبد بسبب حسنهما الفنى وجمالها المعنوى -

۴۔ وقد تناول الموضوعات الكثيرة في هذه القصائد المدحية للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم۔

۵۔ بامعان النظر يتضح لنا أن أحمد شوقي هو يمتاز بجزالة الكلمات وسعة المعاني والحسن والجودة والقوة والمتانة والرصانة والخيال المبتكر وشدة التأثير ودقة التعبير وحسن الموسيقى من الإمام أحمد رضا خان لأنه تولى في البيئة العربية وهو شاعر عربي أصيل۔
أما التوصيات حول هذه المقالة الوجيزة يمكن لنا أن نقول، كان أحمد شوقي يعد من أعظم شعراء العرب في العصر الحديث۔ وقد نظم خمس قصائد في مدح النبي ﷺ ولم يقم أحد بترجمتها إلى اللغة الأردنية وشرحها اللغوي والبلاغي بالتفصيل۔ ونحن نقترح أن هذه القصائد تحتاج إلى أن تترجم باللغة الأردنية وتشرح شرحاً لغوياً وبلاغياً. فإننا نقترح أيضاً بأن يترجم ديوانه "الشوقيات" كاملاً إلى اللغة الأردنية كي يستفيد بها الناس استفادة تامة۔

الهوامش

- ۱۔ الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف، ط: ۲/ ۱۹۷۲، دار المعارف، القاهرة، ۱۱۰/۱
- ۲۔ تاريخ الأدب العربي، حنا الفأخوري، ط: ۱/ ۱۳۲۲، المطبعة البولسية، القاهرة، ۹۷۲/۱
- ۳۔ الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، أحمد الإسكندري، ط: ۱/ ۱۹۳۸، دار المعارف، ۳۰۳/۱
- ۴۔ شوقي شاعر العصر الحديث، شوقي ضيف، الدكتور، ط: ۳/ ۱۹۶۷، دار المعارف، مكتبة الدراسات لأدبية، القاهرة، ۱۱
- ۵۔ الأدب العربي المعاصر في مصر، ۲۱۳/۱
- ۶۔ المصدر السابق، ۲۱۳/۱
- ۷۔ أحمد شوقي، إميل أكبا، الدكتور، ط: ۱، ۲۰۰۵، دار الجيل، مصر، ص: ۴
- ۸۔ الموجز في الأدب العربي وتاريخه، حنا الفأخوري، ط: ۲/ ۱۹۹۱، بيروت، دار الجيل، ۹۷۲
- ۹۔ أحمد شوقي، أمير الشعراء، إيليا الحاوي، ط: ۱۹۸۰، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ۲/۱
- ۱۰۔ دول العرب وعظماء الإسلام، شوقي، أحمد، حققه إميل أ. كبا، ط: ۱/ ۲۰۰۵، دار الجيل، بيروت، ۷
- ۱۱۔ الأدب العربي المعاصر في مصر: ۱۱۳
- ۱۲۔ المصدر السابق، ۱۱۳
- ۱۳۔ وحى القلم، لرافعي، مصطفى صادق مصر، ط: ۱، المكتبة المصرية، ۲۰۰۲، القاهرة، ۹۷۹/۱
- ۱۴۔ أحمد شوقي أمير الشعراء، ۳۳/۱
- ۱۵۔ المصدر السابق، ۳۳/۱

- ۱۶۔ المصدر السابق ۳۴/۱
- ۱۷۔ الاحزاب: ۲۱
- ۱۸۔ دیوان الشوقیات، شوقی أحمد، بیروت، دار الكتاب العربی، ۲۰۰۴، ط: ۱، ۳۴
- ۱۹۔ نفس المصدر ۳۴/۱
- ۲۰۔ نفس المصدر ۱۹۷/۱
- ۲۱۔ لسان العرب، ابن منظور الافریقی، ط: ۱، نشر أدب الحوزة، ایران، ۱۴۱۰، ۲/۳، ۲۵۱
- ۲۲۔ القاموس المحيط، مجد الدین محمد بن یعقوب الفیروز آبادی، ط: ۲، ۱۹۸۷، مؤسسة الرسالة، بیروت، ۲۳۳/۳
- ۲۳۔ دیوان حسان بن ثابت، حسان بن ثابت الأنصاری، ط: ۱، ۱۹۶۷، دار صادر، بیروت، ۱۰
- ۲۴۔ الروض الأنف فی شرح السیرة النبویة، السهیل، عبد الرحمن بن عبد الله، ط: ۱، ۱۴۱۰، دار احیاء التراث العربی، بیروت، ۳۱۰/۳
- ۲۵۔ بهجة المحافل وبغیة الأمثال فی تلخیص المعجزات والسیرو الشمائل، یحیی بن ابی بکر بن محمد، ط: ۱، ۱۹۶۷، دار صادر، بیروت، ۱۸۶/۲
- ۲۶۔ المجموعة النبہانیة فی البدائع النبویة، یوسف النبہانی، ط: ۲، ۱۹۷۲، دار المعرفة، بیروت، ۲۰/۱
- ۲۷۔ دیوان البوصیری، البوصیری، تحقیق: محمد سعید کیلانی، ط: ۲، ۱۹۸۲، القاهرة، ۱۳۳/۲
- ۲۸۔ تاریخ الشعر العربی الحدیث، أحمد قبش، الأستاذ، ط: ۱، ۱۹۷۲، دار الجیل، بیروت، ۷۰
- ۲۹۔ دیوان الشوقیات، شوقی، أحمد، المقدمة الدكتور محمد حسین هیکل، ط: ۱، ۲۰۰۴، دار الكتاب العربی، بیروت، ۱۳۲
- ۳۰۔ المصدر السابق، ۱۹۸
- ۳۱۔ الموسوعة الشوقیة أحمد شوقی، الأعمال الكاملة لأمیر الشعراء، جمعه ورتبه، إبراهیم الإبیاری، ط: ۱، ۱۹۹۸، ۵۲۳، بیروت، دار الكتاب العربی
- ۳۲۔ المصدر السابق، ۳۵/۲
- ۳۳۔ دول العرب وعظماء الإسلام، ۹۸/۱
- ۳۴۔ المصدر السابق، ۲۱۶/۱
- ۳۵۔ القلم: ۲
- ۳۶۔ الجامع الصحیح، القشیری، مسلم بن الحجاج، ط: ۱، ۱۹۷۲، دار الفكر، بیروت، ۲۵۸/۲
- ۳۷۔ دیوان الشوقیات، ۲۱/۱
- ۳۸۔ الموسوعة الشوقیة، ۵۵۵۶/۲
- ۳۹۔ الشفاء بتعریف حقوق المصطفی، قاضی عیاض، أبو الفضل الحصبی، ط: ۱، ۱۸۵۶، مرکز أهل سنت و بركات رضا، ۲۵۳/۱

۴۰۔ دیوان الشوقیات، ۲۰۱/۱۔

۴۱۔ البقرہ: ۵: ۳۵۳

۴۲۔ الموسوعة الشوقیة ۵۱۵۲/۲

۴۳۔ دیوان الشوقیات، ۱۳۱۳۲

۴۴۔ المصدر السابق، ۱۹۵۲۰۱/۱۔

۴۵۔ المصدر السابق، ۱۳۱۱۳۲

۴۶۔ المصدر السابق، ۱۹۵۲۰۱/۱۔

۴۷۔ المصدر السابق، ۲۰۸/۱